لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون عرض لهُ كذا فاندهش واندهل ولم يُحكَ مثال انفعل من هذين الحرفين وانما يقال دهِش من باب تعِب وذَهَل من باب منع وهي اللغة الفصحى (١)

ويقولون هو يسعى لنوال بغيتهِ وانما النوال بمعنى العطاء اي الشيء الذي يُعطى وليس بمصدرٍ لنال والصواب لنيل بغيتهِ

ويقولون امرهُ ان يصنع كذا فصدع بالامر يعنون انهُ اطاع وامضى ما أُمر بهِ ولم يأتِ صدع في شيء من هذا المعنى ولكن اصل هذا التعبير

(١) قال في المصباح دَهِش دَهَشاً فهو دَهِشٌ من باب تعب ذهب عقلهُ حياءً او خوفاً ويتعدى بالهمزة فيقال ادهشهُ غيرهُ وهذه هي اللغة الفصحى. وفي لغةٍ يتعدى بالحركة فيقال دَهَشهُ خطبٌ دَهشاً من باب منعٍ فهو مدهوش . اه . وقال في (ذ ه ل) ذهلتُ عن الشيء اذهل بفتحتين ذهولاً وقد يتعدى بنفسهِ فيقال ذَهَلَهُ والاكثر ان يتعدى بالالف فيقال اذهلني فلانٌ عن الشيء . اه . وقال الزمخشري ذهل عن الامر تناساهُ عمداً او شُغِلَ عنهُ وفي لغةٍ ذَهِلَ يذهل من باب تعب. اه . وبقي هنا قول صاحب المصباح والاكثر ان يتعدى بالالف بعد قولهِ وقد يتعدى بنفسهِ وهذا القول عجيبٌ من مثلهِ لان مقتضاهُ ان التعديتين بمعنى واحد وانك تقول ذهلني فلانٌ عن الشيء كما تقول اذهلني وهو سهوٌ منهُ لان تعدية الفعل بنفسهِ انما تكون الى الشيء المذهول عنهُ تقول ذهلت الشيء مثل ذهلت عنهُ وتعديتهُ بالالف تكون الى الشخص الذاهل كما مثّل فقولهُ والاكثر ان يتعدى بالالف ليس بشيء اذ لا تنظير هنا لان كلاً من التعديتين من وادٍ كما يظهر بادنى تأَمل

ما جآء في سورة الحِجر من قولهِ فاصدع بما تؤمَر قال البيضاويّ اي فاجهر بهِ من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً او فافرق بهِ بين الحق والباطل . اه . وقيل غير ذلك وكلهُ بعيدٌ عن المعنى الذي يذهبون اليهِ

ويقولون حرمهُ من الشيء فيعدّونهُ الى المفعول الثاني بمن والمنقول عنهم حرمهُ الشيءَ بنصب المفعولين

ويقولون التفّ بالحِرام بالكسر وهو الملحفة المعروفة وانما هو الإحرام مصدر أَحرَم الحاجّ لان المحرِم لا يلبس ثوباً مخيطاً فأُطلق عليهِ لفظ الاحرام من التسمية بالمصدر . والكلمة من مواضعات المولدين وقد جآء ذكرها في رحلة ابن بطوطة باللفظ المذكور وتجمع فيما نقلهُ على احاريم

ويقولون هؤلآء اخصامي يريدون جمع الخصم بالفتح وفَعْل الصحيح العين لا يجمع على أفعال الا الفاظاً شذت ليس هذا منها والصواب جمعهُ على خصوم

ويقولون لا يخفاك ان الامر كذا فيعدّون الفعل بنفسهِ والصواب لا يخفى عليك كما صرّح بهِ في الاساس والمصباح ومنهُ في سورة آل عمران ان الله لا يخفى عليهِ شيءٌ في الارض ولا في السمآء . ومن الغريب ان هذا الوهم وقع لقومٍ من اكابر الكتاب كقول صاحب نفح الطيب في المجلد الثاني (صفحة ٣٧٤ من الطبعة المصرية) ولا يخفاك حسن هذه العبارة . وقولهِ في المجلد الرابع (صفحة ٤٤٧) ولا يخفاك انهُ التزم في هذه القطعة ما لا يلزم . ومنهُ قول سراج الدين المدنيّ

ما الحال قالوا صف لنا　　　فلعلّ ما بك ان يزاح

فأجبت ما يخفـاكمُ حال السراج مع الرياح

وهذا مأخوذ من قول السراج الورّاق يذكر ولدهُ

فمـا قال لي أُفَّ في عمرهِ لكوني ابًا ولكوني سراجا

ولا يخفى ما فيهِ مع ذلك من لطف الاقتباس

ويقولون احتاطوا المدينة يعدّونهُ بنفسهِ ايضاً والصواب احتاطوا بها يتعدى بالبآء مثل احاط الرباعي

ومثلهُ قولهم هذا امرٌ يأنفهُ الكريم والصواب يأنف منهُ وقد جاء من هذا قول لسان الدين بن الخطيب

قالوا لخدمتـهِ دعاك محمـدٌ فأنفتها وزهدت في التنويهِ

ويقولون استأسر العدوّ كذا من الجيش يعنون أسر وانما يقال استأسر الرجل بمعنى استسلم للاسر فالفعل لازمٌ لا متعدٍّ . وقد جآء مثل هذا في تاريخ ابي الفدآء ومنهُ قولهُ في حوادث سنة ثمان وخمسين وست مئة وقُتل مقدَّمهم كتبغا واستؤسر ابنهُ . ومثلهُ في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة في الكلام عن الاسكندر اصبح مستأسر الاسرى اسيراً . قال في لسان العرب أسرتُ الرجل اسراً وإِساراً فهو اسيرٌ ومأسور .. وتقول استأسِر لي اي كن اسيراً . اه

ويقولون هذا الامر يمسّ بكرامتي ولا معنى لهذه البآء لان الفعل متعدٍّ بنفسهِ والصواب يمسّ كرامتي

ويقولون فعلت كذا لمساس الحاجة اليهِ والصواب لمسّ الحاجة او لمسيسها واما المساس فهو مصدر ماسَّهُ على فاعَل مثل القتال من قاتل

ويقولون هو يؤمّل بالحصول على كذا فيزيدون البآء ايضاً وصوابهُ يؤمّل الحصول

ويقولون رمحت الدابة اي عَدَت واحضرت ومنهُ قولهم مرمح الخيل ومرماحها لميدانها ولا اصل لذلك في اللغة انما يقال رمحت الدابة اذا ضربت برجلها مثل رفست وضرحت

ويقولون هو مُعافٌ من كذا اذا أُسقطت عنهُ كلفتهُ ومقتضاهُ انهُ يقال اعافهُ من الامر ولا وجود لهذا الحرف في اللغة انما هو تحريف اعفاهُ من الشيء فهو معفًى . ومن غريب الاتفاق في هذا ما جاء في شرح الشريشي لمقامات الحريري عند قولهِ

ولو تعافيتها لحالت حالي ولم احوِ ما حويتُ

قال تعافيتها تكارهتها وهي تفاعلتُ من عفتُ الشيء اعافهُ عيافاً اي كرهتهُ اه . وعجيبٌ من مثل الشريشي ان يجوز عليهِ مثل هذا الوهم وكيف يكون تعافيت من عفت وهو من معتلّ اللام وهذا من الاجوف والاّ لكان اللفظ تعايفت لا تعافيت كما هو ظاهر . والاشبه ان الحريري اراد بقولهِ تعافيتها تجاوزتها وكانهُ اخذ هذا اللفظ من عبارة الحدبث تعافَوا الحدود فيما بينكم اي تجاوزوا عنها ولا ترفعوها اليّ كما في النهاية وفي ذلك ما فيهِ

ويقولون انطلت عليهِ الحيلة اي جازت عليهِ وراجت وطلى عليهِ المحال اي موّههُ واجازهُ ولم يُنقل شيء من ذلك عن العرب وان كان لهُ وجهٌ في الاشتقاق (ستأتي البقية)

ملوحة البحار

ما زالت هذه المسئلة شغلاً شاغلاً لعلماء طبقات الارض والحوادث الجوّية وقد اختلفوا فيها على مذاهب اشهرها ان ملوحة البحار ناشئةٌ عما تجرّهُ اليها السيول والانهار من الجواهر الملحية التي تحلها من بين طبقات الارض . وذلك ان جميع المياه المنحدرة عن رؤوس الجبال ومن بطون الاودية وخلل الصخور تنصبّ باسرها في البحر وكل ما تجرّهُ معها من املاحٍ وغيرها ينتهي اليهِ ويتجمع فيهِ وهو القول الشائع اليوم وعليهِ اكثر العلماء المتاخرين . ودليلهم فيهِ ما يُرَى من ملوحة بعض الابحر الصغيرة المنقطعة عن سائر البحار كالبحر الميت مثلاً فانهُ فيما يرون انما اجتمع مما ينصبّ اليهِ من مياه الأُردنّ ووادي قدرون ومع كون هذه المياه عذبةً في نفسها فان ماء هذا البحر لا يطاق ملوحةً وما ذلك الا لما تجمَّع فيهِ من الاملاح على توالي السنين . وعليهِ فجميع المياه قد كانت في اصلها عذبة ثم طرأت عليها الملوحة بما خالطها من الاملاح التي تحملها اليها المياه الجارية

الا ان هذا المذهب على شهرتهِ ليس بالمذهب المرضيّ عند المحققين لانهُ لا يمكن التسليم بان ملوحة البحار مسببةٌ عن الانهر ما لم تكن مياه الانهر نفسها ملحةً مع اننا اذا حللّنا هذه المياه لا نجد فيها من الملح الاّ دقائق ليس لها قدرٌ يعتدّ بهِ فضلاً عن ان جميع مناجم الملح المعروفة غير كافية لأن تولّد مثل هذه الملوحة في بحار الارض على كثرتها واتساعها . ولعل الاظهر ما ذهب اليهِ بعض المعاصرين من ان هذا الحلّ الذي زعموا

انهُ فعل مياه الانهر والسيول انما كان من فعل مآء البحر نفسهِ وقد ابتدأ منذ اخذت الارض تبرد وتسنى لبخار المآء ان ينعقد في جوّها ويسقط امطاراً وسيولاً غامرة فان هذه السيول كانت تحلّ كل ما تمرّ بهِ من العناصر القابلة الانحلال فتمتزج بها ولا سيما انها كانت تجري حارّةً عند ملاقاتها لسطح الارض فهي اقدر بحرارتها على التحليل طبعاً. واما ما ذكروهُ من امر البحر الميت وما اشبههُ من البحيرات الملحة كبحر قزبين وبحر أرال فان هذه الابحر كانت من اصلها ملحةً لما انها ليست الا بقايا من البحر الاعظم الذي كان غامراً موضعها من الارض فلما ارتفعت الارض حولها انحسر المآء عن جوانبها وبقيت هذه الابحر في وسطها . ويؤيد ذلك انهُ ما خلا هذه الابحر الثلاثة وبحيراتٍ أُخر معدودة فان كل مجامع المياه التي لا تستمدّ مآءها من البحر عذبة بل من البحار انفسها ما اذا كثر الوارد عليهِ من مياه الانهار قلّ مقدار الملوحة فيهِ كالبحر الاسود مثلاً فان ملوحتهُ تكون بمقدار النصف من ملوحة البحر المحيط . وكذلك الحال في البحيرات التي تمرّ فيها المياه العذبة فان منها ما ذهبت ملوحتهُ جملةً كبحيرة جنَفْرا التي يدفع فيها نهر الرون ومنها ما نقصت ملوحتهُ كثيراً كبحيرة قُسطَنْس التي يخترقها نهر الرين . وبخلاف ذلك الابحر التي لا منفذ لها كالبحر الميت فانهُ مع ما ينصبّ اليهِ من المآء العذب لا تزال ملوحتهُ كما هي بل ربما ازدادت لان ما يتبخر منهُ يزيد على المنصبّ فيهِ والتبخر انما ينال منهُ المآء الخالص مقطَّراً والاملاح تبقى ابداً في مكانها محلولةً في مجموع المياه الباقية فتزداد اشباعاً على توالي الايام . وهذه المياه قد نقصت

بلا ريب بدليل ان سطح هذا البحر يسفل عن سطح البحر الرومي بما يقرب من اربع مئة متر وكذلك بحر قزبين فانهُ مع كثرة ما ينصبّ اليهِ من الانهر ينحطّ عن مساواة البحر الاسود بما يقرب من ثلاثين متراً

اما مبلغ الملح في البحار فقُدّر بعد التحليل الكيماوي بما يزيد قليلاً على ٣ في المئة وقدر بعضهم انهُ لو استُخرج كل ما في البحار من الملح وجُمع في هيئة مكعَّب لتألف منهُ جبلٌ عظيم تغطي قاعدتهُ كل اميركا الشمالية ويكون ارتفاعهُ ١٥٠٠ متر في الاقلّ . ومع أن هذا الجبل العظيم منحلٌّ باسرهِ في مياه البحار البالغة نحواً من ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٧٠ ٢ كيلومتر مكعب من المآء فانهُ لا يزيد في حجمها زيادةً يُشعَر بها لان دقائقهُ متخللة بين دقائق المآء ولكنهُ يزيد في كثافتها زيادةً ذات بال وقد قدّر بعضهم ان كثافة ماء البحر بالقياس الى المآء العذب تكون كنسبة ١ الى ١،٠٢٧٢

على ان ما في البحار من الملح ليس ملحاً صرفاً ولكن يخالطهُ جواهر اخر من عناصر مختلفة وفيما حققهُ أليزاي ركلوس ان العناصر البسيطة التي امكن اكتشافها بالذرائع العلمية بين فحص السائل بنفسهِ وفحص اصناف النبات التي تستمدّ جميع غذآئها من ماء البحر تبلغ ٢٨ عنصراً اهمها بعد الاكسيجين والهدروجين اللذين يتركب منهما المآء نفسهُ الكلور والازوت والكربون والبروم واليود والفلور والكبريت والفسفور والسيليسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والبور والالومينيوم والمغنيسيوم والكلسيوم والسترنتيوم والباريت • واكتُشِف في بعض انبتتهِ النحاس والرصاص والزنك والفضة

والكوبلت والنِكل والمغنيسيا . واما الحديد فيوجد في مآء البحر نفسه . وقد استخرج بعضهم من فروع صنفٍ من المرجان نحو ٢/١٠٠٠ من الفضة ممزوجة بستة امثالها من الرصاص ووُجد غير ذلك مما لا موضع لاستيفائه هنا

وجميع هذه الجواهر مختلطة في مآء البحر على مقادير متفاوتة واكثرها مقداراً كلورور الصوديوم الذي هو الملح فانهُ يبلغ من جملتها نحو ٧٦ في المئة ثم يليهِ في الكثرة كلورور المغنيسيوم وكبريتات المغنيسيا وكبريتات الكلس وكلورور البوتاسيوم وبرومور المغنيسيوم وكربونات الكلس

اما مرارة مآء البحر فينبغي ان تكون من قاعدة المغنيسيا وهي اكثر ما توجد في المياه السطحية ثم تقلّ مع العمق الى ان تبلغ ١٥٠ متراً وبعد ذلك تنقطع المرارة ولا يكون في المآء الا الملوحة وحدها

ثم ان درجة الملوحة تتفاوت بحسب العروض والحياض وهي تقلّ مع الاتجاه من المعدَّل الى احد القطبين وعلة ذلك زيادة التبخر في المنطقة الحارّة بحيث يزداد تكاثف الملح هناك على الدوام . والبحر في النصف الشمالي من الكرة اشدّ ملوحةً منهُ في النصف الجنوبي لان مقدار المياه في الشمال اقلّ منهُ في الجنوب . ويقلّ الملح ايضاً كلما اتجهنا من اللج الى السواحل لما يخالط المآء هناك من مياه الانهر ولا سيما اذا كان مقدار المآء المنصبّ من البرّ اعظم من المقدار المتبخر من البحر . ومن اوضح الامثلة في ذلك ما يشاهَد في البحر الاحمر والبحر البلطيك فان الاول لا ينصبّ فيهِ شيءٌ من مياه الانهر والتبخر هناك في غاية الشدّة بسبب حرارة الاقليم

ولذلك كان ماء هذا البحر في منتهى درجات الملوحة والرواسب الملحية فيهِ تبلغ ٤٣ في الالف وبعكسهِ البلطيك فانهُ مع قلة عمقهِ يجري اليهِ مقدارٌ غزير من الماء العذب ولذلك كانت ملوحتهُ لا تتعدى ٥ في الالف وفي بعض اخوارهِ يكون ماؤهُ عذباً خالصاً على التقريب

كلُنديك جديدة

ما برحت الديار الاميركية موضع دهشةٍ للعالم ومستثاراً لخواطر الامم وهممهم بما لا تزال تفاجئ الناس بهِ من غرائب احوالها وكنوز تربتها وغناها . ولقد شده الناس منذ عهدٍ قريب ما ورد عليهم من جهة كولمبيا البريطانية من انهُ قد اكتُشف في قضاء كاسياس من ارض ألَسْكا معدنٌ جديد للذهب هو اوفر واغنى من معدن كلُنديك

وقد كان اول نبإٍ لهذا الاكتشاف في اوائل شهر اوغسطس من سنة ٩٨ ورد الى مدينة سكَغْواي من مدن ألسكا فلم يلبث ان تبادر من فيها من المعدّنين والعرَكيّين (صيادي السمك) زرافاتٍ الى تلك الارض وطار الخبر في ارجاء المدينة فلم يمضِ الا ايامٌ قلائل حتى خلت منازلها من الانيس واصبحت المدينة كلها عند مواقف البريد يلتمسون تحقيق الخبر . وفي اثناء ذلك اقبل وفدٌ من ناحية فكتوريا فاثبتوا صحة الاكتشاف وشاعت الانباء في تلك النواحي فهوت الافئدة والركائب الى تلك الارض من جميع السواحل الغربية من شمالي اميركا

اما مكتشف هذه الارض فهو رجلٌ المانيّ الاصل يقال لهُ فرِتْز ميلر

عثر على هذا المعدن اتفاقاً وكان قد ظهر لهُ في خور من بحيرة اتلين سامات من الذهب فاخذ مع جماعةٍ من اصحابهِ يبحث في تلك الناحية فاصاب منجماً لا يزيد عمقهُ على مترين عن سطح الارض . وقد عُدّل مقدار ما يُستخرَج من هذا المنجم في اليوم بما يساوي ستين دولاراً او ٣٠٠ فرنك لكل عامل

وأرض هذا المعدن الجديد سهلة الطريق ليس في الوصول اليها شيء من المشقة والخطر اللذين يتعرض لهما المسافر الى ارض كلنديك وحالة الجوّ هناك معتدلة فلا يُضطرّ كما هو الحال في داوسون ان يُستخرَج الذهب من ارض قد تجمّدت تربتها بشدّة البرد الى عمق عدة امتار . وفضلاً عن ذلك فان الذهب المستخرج من هذه الارض انقى كثيراً من الذهب الذي يُستخرَج من كلنديك فتباع الاوقية منهُ لمصارف فكتوريا بثمانية عشر دولاراً حال كون الذهب الكلنديكي لا تباع الاوقية منهُ باكثر من اربعة عشر

خواطر مستطرفة

في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء الحادي عشر)

– ٨ –

« السلم العربي »

ويقال لهُ الديوان او المرتبة وهو يؤلف من سبع نغمات يقال لها درجات او ابراج تعلو الواحدة عن الاخرى علوًّا غير متساوٍ كما سيتضح . وقد وضعوا اسماءً لديوانين او سلمين تبتدئ من القرار فصاعداً الى الجواب

على التوالي وهي هذه

يكاه . عشيران . عراق . رصد . دوكاه . سيكاه . جهاركاه . نوى . حسيني . اوج . ماهور . محيرّ . بُزُرَك . ماهوران

واذا اريد تسمية درجات اخرى فوق هذه كررت السبع الدرجات الاخيرة واضيف اليها لفظة جواب فتقول جواب نوى (ويسمى رَمَل توتي) جواب حسيني . جواب اوج الخ ومتى فرغت اسماء هذه الدرجات كررت مرة اخرى واضيفت اليها لفظة جواب مرتين فتقول جواب جواب النوى جواب جواب الحسيني الخ وهكذا تتعدد الدواوين صعوداً بتكرار اضافة لفظة الجواب بقدر عدد الدواوين المضافة . واذا أُريد تسمية درجات تحت القرار كررت اسماء السبع الدرجات الاولى واضيفت اليها لفظة قرار فيقال قرار الجهاركاه قرار السيكاه الخ . وكذا اذا اريد الزيادة ايضاً تكرر لفظة القرار كما تكرر لفظة الجواب وهلم جرًّا الى ما شاء الله صاعداً ونازلاً

وكانوا قبلاً يبتدئون السلم الحقيقي بالسيكاه اما الآن فيبتدئونهُ بالرصد ويختمونهُ بالاوج وهو اقرب الى السلم الافرنجي كما سيجيء بيانهُ

وقد تقدم ان الدرجات يعلو بعضها عن بعض علوًّا غير متساو وايضاح ذلك ان العرب قسموا ما بين الدرجات الى ارباع فبين الرصد والدوكاه اربعة ارباع وبين الدوكاه والسيكاه ثلاثة ارباع وبين السيكاه والجهاركاه ثلاثة وبين الجهاركاه والنوى اربعة وبين النوى والحسيني اربعة وبين الحسيني والاوج ثلاثة وبين الاوج والماهور ثلاثة وقس عليه القرارات والاجوبة فيكون السلم الموسيقي مؤلفاً من اربعة وعشرين ربعاً كما ترى في الجدول الآتي

قرار	درجات	ارباع	سلم	جواب
رصد	١	٢٤	ماهور	
تك كشت		٢٣	تك نهفت	
كشت		٢٢	نهفت	
عراق	٧	٢١	اوج	
قرار عجم		٢٠	عجم	
قرار نم عجم		١٩	نم عجم	
عشيران	٦	١٨	حسيني	جواب حسيني
قرار تك حصار		١٧	تك حصار	جواب تك حصار
» حصار		١٦	حصار	» حصار
» نم حصار		١٥	نم حصار	» نم حصار
يكاه	٥	١٤	نوى	رمل توتي
قرار تك حجاز		١٣	تك حجاز	جواب تك حجاز
» حجاز		١٢	حجاز	» حجاز
» عربه		١١	عربه	» عربه
قرار جهاركاه	٤	١٠	جهاركاه	ماهوران
		٩	تك بوسليك	جواب تك بوسليك
		٨	بوسليك	» بوسليك
	٣	٧	سيكاه	بزرك
		٦	كردي	جواب كردي
		٥	نم كردي	» نم كردي
	٢	٤	دوكاه	دوكاه
		٣	تك زرجله	جواب تك زرجله
		٢	زرجله	» زرجله
		١	نم زرجله	» نم زرجله
	١	٠	رصد	ماهور

ويمكن ان يبتدأ السلم من اي الارباع شئت بحيث يكون بين الدرجة الاولى والثانية ٤ ارباع وبين الثانية والثالثة ٣ ارباع الخ كما يرى في الجدول الاول بالنظر الى ارقام الدرجات وما بينها من الارباع

- ٩ -

﴿ السلم الافرنجي ﴾

صاعد				نازل
دو	١	=	١٢	دو
سي	٧	=	١١	سي
لا مرفوعة		—	١٠	سي مخفوضة
لا	٦	=	٩	لا
سول مرفوعة		—	٨	لا مخفوضة
سول	٥	=	٧	سول
فا مرفوعة		—	٦	سول مخفوضة
فا	٤	=	٥	فا
مي	٣	=	٤	مي
رى مرفوعة		—	٣	مي مخفوضة
رى	٢	=	٢	رى
دو مرفوعة		—	١	رى مخفوضة
دو	١	=		دو

يؤلف السلم الافرنجي من سبع درجات كالسلم العربي ويقسم ما بين الدرجات الى انصاف فبين كل درجتين متجاورتين نصفان الا بين الثالثة والرابعة وبين السابعة وجواب الاولى فنصف درجة فقط فيكون مؤلفاً من اثني عشر نصفاً كما يتضح من الجدول الذي تراه

ويمكن ان يبتدأ السلم من اي الانصاف شئت بحيث يكون بين كل درجة واخرى نصفان الا بين الثالثة والرابعة وبين السابعة والجواب فنصف فقط

واذا قابلنا السلم الافرنجي بالعربي رأينا بينهما فرقاً في محلين وهو ان « مي » الافرنجية تعلو ربعاً على السيكاه العربية و « سي » تعلو ربعاً على

على الاوج كما ترى في هذا الشكل

افرنجي					عربي		
١	دو	١٢	=	=	٢٤	ماهور	١
				—	٢٣		
٧	سي	١١	=	—	٢٢		
				=	٢١	اوج	٧
		١٠	—	—	٢٠		
				—	١٩		
٦	لا	٩	=	=	١٨	حسيني	٦
				—	١٧		
		٨	—	—	١٦		
				—	١٥		
٥	سول	٧	=	=	١٤	نوى	٥
				—	١٣		
		٦	—	—	١٢		
				—	١١		
٤	فا	٥	=	=	١٠	جهاركاه	٤
				—	٩		
٣	مي	٤	=	—	٨		
				=	٧	سيكاه	٣
		٣	—	—	٦		
				—	٥		
٢	رى	٢	=	=	٤	دوكاه	٢
				—	٣		
		١	—	—	٢		
				—	١		
١	دو		=	=		رصد	١

اما السلم اليوناني فمختلف كثيراً عن السلم العربي وتقسم الفسحات بين درجاتهِ الى دقائق حتى تبلغ دقائق السلم كلها ٦٨ دقيقة . ولا حاجة الى ايضاحهِ هنا لقلة استعمالهِ الا في الموسيقى الروحانية في الكنائس الشرقية الطقسية

- ١٠ -

بقي البحث في هل السلم طبيعي ام اتفاقي والذي في اعتقاد علماء هذا الفن انهُ طبيعي وحجتهم في ذلك انهُ عند كل الامم مؤلف من سبع درجات لا اكثر ولا اقل فالاجماع عليهِ كذلك يؤيد انهُ طبيعيٌّ وفضلاً عن ذلك فانهُ اذا كان مؤلفاً من اكثر من سبع درجات او اقل جاء متنافراً فعافهُ السمع

والذي يلوح لي انهُ اتفاقي لا طبيعي اي ألفهُ ذووهُ كذلك وكان في الامكان ان يألفوهُ على وجوه أُخر . وبرهان ذلك

اولاً ان عدم تناسب التفاوت بين الدرجات ينافي الطبيعة لان الطبيعة تقضي عقلاً ان تعلو الدرجات الواحدة على الاخرى علوًّا متساوياً وقد علمت ان كلا السلمين العربي والافرنجي مخالفان ذلك

ثانياً ان بعض الالحان المطربة ولا سيما العربية تقتضي النشوز عن السلم الموسيقي المعروف كأَن تعلو بعض الدرجات او تنخفض قليلاً عن مقامها المعتاد في السلم . وبما ان الالحان التي يخالَف فيها السلم المألوف مطربة فليس السلم طبيعيًّا لامكان استعمال سلم آخر يخالفهُ من غير ان يمجهُ الذوق . ومن هذا القبيل النهاوند من ضروب الالحان العربية فانهُ لا يصح الا بنقل اكثر درجات السلم من مقاماتها المعتادة اي استبدالها بارباع مجاورة لها

ثالثاً لو كان السلم طبيعياً لما اختلف السلم العربي عن الافرنجي ولا اليوناني عن كليهما بل كان الثلاثة واحداً . فاختصاص بعض الشعوب بسلم وغيرهم بآخر يؤيد أن السلم الموسيقي اتفاقي يرجع الى ذوق الشعب وما طرأ عليهِ من المكيّفات مع الزمان

رابعاً لو كان طبيعياً لامكن ان يترنم عليه الانسان بدون ان يسمعهُ والحال ان الانسان يتعلمهُ تعلماً ولا يتقنهُ الا بعد المزاولة ولا يميز بين درجاتهِ الا بعد معاناة طويلة

ثم ان الذي يلوح لي انهُ كلما تقدم هذا الفن كثرت درجات السلم لان التفنن في التلحين يقتضي ذلك ليكون اللحن اكثر محاكاةً لمعاني

الوجدان . فالسلم في عرف الافرنج سبع درجات ولكنهم رأَوا انهم يستعملون في بعض الالحان او بعض الاعتبارات درجاتٍ اضافية تِخلل الدرجات الاصلية فقرروا ان يكون السلم مؤلفاً من اثني عشر نصفاً كما مرَّ

والعرب لم يقتصروا على الانصاف بل اضافوا ارباعاً ايضاً فاذا صح ان كثرة الدرجات دليل على تقدم هذا الفن في الاطراب فالموسيقى العربية تكون ارقى من الافرنجية واليونانية ارقى من كلتيهما (ستأتي البقية)

﴿ آداب الجرائد ﴾

من اغرب ما رأيناهُ من اختلال آداب الجرائد في هذا القطر ان يموت فيهِ رجلٌ مثل نجيب الحدّاد الذي قضى حياتهُ كلها في خدمة العلم والادب وشاعت كتاباتهُ في كل قطرٍ من الاقطار العربية وسافر نظمهُ ونثرهُ بين خاصة الناس وعامّتهم ثم نرى بعض تلك الجرائد تطوي كشحاً عن منعاهُ ولا تجري لموتهِ ذكراً . وهذا لعمر الحق ما لا نتصور ان يكون لهُ ضريبٌ في شيءٍ من جرائد الدنيا ولا نظن انهُ يقع في غير هذه البلاد التي اضحت الآداب فيها فوضى واصبح كل من قبض على يراعةٍ يتصدى لكتابة الجرائد التي هي راس الخطط الادبية وخلاصة المدارك السياسية والتاريخية والتي عليها مدار تهذيب الامة وتثقيف عقولها وتقويم عوائدها واخلاقها الى غير ذلك مما سبق لنا من الكلام فيهِ ما لا نعيدهُ في هذا الموضع وما نعلم انهُ ليس في كتّاب الجرائد عندنا من يحسن الخوض فيهِ الا آحادٌ هم ضائعون بين هذا الجمهور الذي ملأ الجوّ لغطاً على غير معنًى ولا جدوى سوى ما سال

بهِ السيل في البلاد من بث الفتن والتفنن في ضروب الفساد وزيادة القوم على جهلهم جهلاً ومدّهم في غواياتهم واباطيلهم . على انا لسنا نطالب امثال هؤلاء بما اومأنا اليهِ من المدارك البعيدة وما يكلف الله نفساً الاّ وسعها ولكن لا اقلّ من ان يحسنوا ايراد الاخبار على حقها وصدقها ويميزوا بين ما يجوز فيها وما لا يجوز فلا نقرأ الخبر الواحد في جريدتين مروياً على وجهين متناقضين ولا يقع الحادث العظيم ترزّ بهِ صدور الاندية ويذهب في عرض الشوارع وتسير بهِ رسل البريد واسلاك البرق ثم نقرأ الجريدة الصادرة في محلهِ فلا نجد لهُ فيها ذكراً . لاجرم ان كتم الخبر الواقع لا يقلّ شناعةً عن اختلاق الخبر المكذوب لان حاصل كلٍّ منهما تمويه الحقيقة وتبديل صورة الواقع بغيرها ورحم الله القائل

وما كتم قول الحق عند مكاشفٍ ... بهِ دون قول الزور عند منافقِ

وما ندري ما منع هذه الجرائد من ايراد هذا الخبر وهو الامر الذي أُبهم علينا فهمهُ ولم نعلم كيف نؤوّلهُ ولا ايّ عذرٍ نلتمس لتلك الجرائد على اهمالهِ . افنعتذر عنها بانها لم تعلم بموت هذا الفقيد وهذه جرائد القطر كلها لم يبقَ فيها جريدةٌ الا اذاعت نعيهُ وقدرت المصيبة فيهِ حق قدرها بل كثيرٌ منها لم تقتصر على ذكرهِ المرة والمرتين وهي الى اليوم تكرر منعاهُ وتأبينهُ وقد فرغت نوبة اقلامها فتلتها نوبة اقلام الشعرآء

ام لعلها تستصغر الرزء فيهِ وهي تعلم انهُ قد كان قائدها ورافع لوآئها واسبق كتابها عهداً بالكتابة وارسخهم فيها قدماً واثبتهم اثراً وحسبها لو انصفت ان تتذكر ان لفظة الصحافة التي تنتمي اليها وتفتخر بها هي من

وضعه ولفظهِ اقتبستها عنهُ ثم هي تضنّ عليهِ بان يذكَر فيها بما يستحقّ .
ام ضاقت صفحاتها عن نشر هذا الخبر بما يتزاحم عليها من الاخبار المهمة والمباحث الخطيرة مثل احالة فلان على المعاش وزيادة راتب فلان الى ما هنالك من سرد المقالات التافهة والمقامات الباردة والاسجاع الركيكة

ام عزّ على تلك الجرائد ان تعطيه حقهُ من الوصف وتقدر الرزء فيهِ حقّ قدرهِ وخافت ان بخستهُ حقهُ وذكرتهُ بدون ما هو اهلٌ لهُ ان تعرّض نفسها للوم والتفنيد فضربت عن ذكرهِ صفحاً كانما تظن انها اذا تغاضت عن هذا الخبر اغضى الناس عنها فكان مثلها مثل النعامة المشهور

نقول ذلك ونحن لا نقصد بهِ ان اهمال هذه الجرائد لمنعاهُ اثّر شيئاً على شهرتهِ او وضع من منزلتهِ فان من سمع ذكرهُ في كل نادي ادب ورأى شعرهُ سائراً على الافواه وقرأ ما لهُ من الكتب والمقالات التي هي عنوان البلاغة والبيان ورأى رواياتهِ متتابعة التمثيل على مشهد المئات لا يُفرَغ من احداها حتى يُشرَع في اختها ثم رأى جرائد القطرين المصري والشامي حتى الاعجمية منها تذكرهُ بالترحم والثناء بل رأى كثيراً من مجلات اوربا الادبية وجرائد اميركا تعلن وفاتهُ بالاسف يعلم ان تقصير تلك الجرائد في حقهِ انما كان تقصيراً منها في حق انفسها وسبيلاً عليها لألسنة القادحين والعائبين بل لطخة عار على الامة ان يكون في قادتها ورافعي منار التهذيب فيها من تكون هذه منزلتهُ من المدنية ومبلغهُ من الانسانية وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والسلام على من اتبع الهدى

مطالعات

لسعة الزنبور ـ جآء في بعض المجلات الطبية بتوقيع الدكتور لَندَر ما تعريبهُ

اصابتني رَثيةٌ (روماتزم) ذات المٍ مستمرّ فاستعملت لها ضروباً من العلاج بين ادوية وحمّامات معدنية فلم اجد في شيءٍ منها نفعاً • واتفق بعد ذلك ان لسعني زنبور في زندي الايمن وكنت شاعراً بالمٍ شديد في الذراع فلم يلبث ان ورم موضع اللسعة ولكن زال الالم للحال • فلما رأيت ذلك تعرضت من الغد للسعةٍ في الركبة فزال الالم ايضاً ومذ ذاك كنت كلما عرض لي المٌ او شعرت بخدَر الجأ الى العلاج نفسهِ فاعود بالفائدة عينها

قال وأُصبت بعد ذلك بزكامٍ شُعْبيّ (برُنشيت) شديد فعرّضت نفسي للسع الزنابير في العنق ومقدَّم التجويف الصدريّ فزال لوقتهِ وقد كنت معرَّضاً للنزلة كل سنةٍ طول مدة الشتآء فلم تعاودني مذ ذاك • اه

قلنا وهذا من الامور المعروفة في الديار الشامية ولا سيما في نواحي لبنان فان كثيرين ممن تصيبهم الرثية يتعرضون للسعة الزنبور او النحل فلا تخطئ الشفآء

وهنا محلٌّ لذكر فائدةٍ جليلة مما اتفق لكاتب هذه المجلة وهي اني معرَّضٌ للرثية العضلية تصيبني غالباً في الساقين والفخذين فتقعدني عن المشي والنهوض وقد اصابتني ثلاث مرات في مدة عشر سنوات كانت تلبث في كلٍّ منها سبعين يوماً متوالية لا ابرح فيها مكاني وقد عالجني غير واحدٍ من

حذّاق الاطبآء فلم يدعوا صنفاً من اصناف العلاج بين منبهات ومخدرات الا استعملوهُ فلم يُغنِ بل كانت المنبهات تزيد الالم . فلما كنت من نحو سنتين شعرت بابتدآء الرثية في المكان نفسهِ ثم اخذت تشتدّ وتتمكن يوماً بعد يوم حتى اتت عليّ عشرة ايام لا استطيع فيها النهوض والحركة الا بمشقة فايقنت هذه المرة بالسبعين ايضاً . وكنت ملازم الفراش والدثار الا اني راقبت انهُ كلما هبّت الشمال اشعر ببردٍ اليم ووخزٍ منتشر في الجلد كانهُ وقع إبَر مع ان نوافذ الموضع مغلقة والفصل صيف فتنبهت من ذلك الى ان الامر لا بد ان يكون مسبباً عن تنبيهٍ مغنطيسي في العضل ناشئٍ عن تغير حالة الجوّ . فخطر لي ان اتلقى هذه المغنطيسية بشيءٍ من الحديد وكان بالقرب مني مفتاح فتناولتهُ ووضعتهُ على مكان الالم فلم اكد اضعهُ حتى شعرت كأن تحتهُ ورماً حارًّا وتصلباً في ظاهر الجسم . فرفعت الحديد ووضعت يدي مكانهُ فلم اجد ورماً ولا صلابةً ثم اعدت الحديد فكنت اشعر كأن ذلك الورم يزول شيئاً فشيئاً ولم يمرّ على ذلك عشر دقائق او دونها حتى عاد الجلد ليناً ولم يبقَ ثمة ادنى الم . فجعلت انقل المفتاح من موضعٍ الى آخر وكلما عاد الالم والوخز اعدتهُ حتى ايقنت بنفعهِ وحينئذٍ اتخذت قطعةً عريضةً من الحديد وشددتها على فخذي وقمت اسعى على عادتي ومذ ذاك صرت كلما شعرت باقلّ شيءٍ من الرثية في اي موضعٍ كان التجئ الى الحديد فيزول في الحال

هذه حكاية ما اختبرتهُ في نفسي احببت اثباتها في هذا الموضع رحمةً باصحاب هذا الدآء الاليم وانا لا اجزم بصحة ما بنيت عليهِ فلسفة النفع في

هذه الطريقة ولكن النفع فيها صحيحٌ لا ريب فيهِ وقد امتحنها في كثير من الناس فحصل عنها النفع نفسهُ الا ان منفعتها مقصورةٌ على الرثية العضلية كما تقدمت الاشارة اليهِ ولا تأثير لها في الرثية المفصلية وانا ارجوان يخفّف بها كثيرٌ من آلام اصحاب هذا الداء ان شآء الله تعالى والله الشافي

آثار ادبيّة

كتاب العقد النفيس في تشطير وتخميس ديوان الامام عمر بن الفارض – أُهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب لحضرة الشاعر الاديب محمد افندي فرغلي الأَنصاري الطهطاوي احد موظفي نظارة الخارجية المصرية وقد عُني فيهِ بتشطير جانب من قصائد هذا الديوان وتخميس الجانب الآخر ما خلا التائية الكبرى وبعض المقطّعات في آخرهِ

ولا يخفى ما في مزاولة هذا العمل الطويل في مثل هذا الديوان ومتابعة قصائدهِ بيتاً بيتاً من المركب الخشن والمؤونة الشاقة ولا سيما وان كل قصائده منحصرةٌ في غرضٍ واحد من التغزل والتشبيب وهو الامر الذي تكلّ من دونهِ ركائب الفكر وتنضب مادّة القريحة فضلاً عن ان صاحب الديوان قد احاط بمعاني هذا الباب واستنزف معينها فلم يبقَ منها للوارد الا وَشَلٌ ضعيف • على ان نظم ديوان من مثل ديوان ابن الفارض اسهل واقرب منالاً من تشطيرهِ او تخميسهِ لما في ذلك من اعنات الفكر وجهد الروية بالدخول على المعاني المستوفاة والابيات المُقفَلة مما يعزّ السبيل الى الزيادة عليهِ اذ ليس بعد التمام شيء

ولقد رأينا من فحول الشعرآء واكابرهم من زاول تخميس قصيدةٍ واحدة او تشطيرها فلم تتفق لهُ الاجادة الا في بعض ابياتهـا وظهرت على سائرها آثار التكلف والاضطراب وانقطاع اللحمة بين الكلامين حتى لقد ترى كلاًّ منهما من واد واكثر ما تجد ذلك في التشطير لمـا يقتضيهِ من دخول كلام المشطر بين شطرَي البيتِ الاصلي بحيث يحلّ من كلٍّ منهما محل صاحبهِ ويؤلف معهُ بيتاً مستقلاًّ • وانما يقع الاحسان في مثل هذا في البيتين والابيـات تختار من الشعر الذي يمكن انفكاك بعض اشطرهِ من بعض ويحتمل معناهُ الصرف الى غير الجهة التي ساقهُ اليهـا الشاعر الاصليّ والا فان اقلّ ما هنالك ان يُضطرّ المشطّر الى تكرار معنى الشطر المستبدَل فيُنزِل في مكانهِ شطراً بمعناهُ او قريباً منهُ لتعذُّر المنصرَف عنهُ وحينئذٍ فلا يكون للتشطير معنى الا تطويل اللفظ على غير زيادة في الفائدة

نقول هذا اظهـاراً لصعوبة هذا العمل ووعورة مسلكهِ بحيث ان اطول الشعرآء باعاً واقدرهم على التصرف بازمّة المعاني يعجز عن الاجادة في تشطير او تخميس ديوانٍ برمتهِ • ومع ان هذا الكتاب لا يخلو من مواضع للاخذ والانتقاد فانها مغتفرةٌ في جنب ما ذكرناهُ ولكن الذي نأخذهُ على الناظم اقدامهُ على هذا العمل العقيم واضاعتهُ فيهِ من الزمن والجهد ما لو صرف بعضـهُ الى نظم جديد يتخير فيهِ الاغراض والاسـاليب ولا يتقيد بالتزام معانٍ مخصوصة في صوَرٍ محدودة فضلاً عما يُدفَع اليهِ تارةً من القوافي المستهجنة لكان ذلك اظهر لفضلهِ واجدر ببيان منزلتهِ من الشعر • على انا لا ننكر مجيء بعض التخميس فيهِ جيّد الالتحام حسَن التوطئة يشهد لهُ

بجودة القريحة وحسن التصرف في النظم كقولهِ من تخميس خمريتهِ المشهورة

عجبتُ لقومٍ وهي داخل ظرفها   امالتهمُ سكراً برقة لطفها
فكيف بهم لو ساغ منهل رشفها   يقولون لي صفها فانت بوصفها
خبيرٌ أَجلْ عندي باوصافها علمُ

سألتم خبيراً من مواردها ارتوى   وصاحبكم ما ضلّ فكراً ولا غوى
فهيّا اسمعوا ثم اعجبوا بالذي روى   صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوا
ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ

وفي الكتاب كثيرٌ من هذه الحسنات تبعاً لما تحتملهُ حالة النظم الاصلي مما تقدم بيانهُ فنحن نثني على الناظم لما بذلهُ في هذا السبيل من الجهد والمثابرة ونتمنى لكتابهِ مزيد الشهرة والرواج

كتاب هدية الملوك في آداب السلوك - هو مؤلفٌ لطيف وضعهُ حضرة الاديب يوسف افندي بشتلي جمع فيهِ آداب الحضارة الاوربية التي هي اليوم مقتدَى جميع الامم المتمدنة فشرح فيهِ عوائدهم ومصطلحاتهم في آداب التعارف والزيارة والتحية والمجالسة والمحادثة والمكاتبة واحوال الاحتفالات في الافراح والاتراح والالعاب والمتنزهات واحكام الملابس والمطاعم والزِيَن وغير ذلك من كل ما يتعلق بالآداب العمومية والخصوصية فجاء كتاباً جامعاً تلذ مطالعتهُ ولا يخلو من تبصرةٍ وفائدة فنثني على مؤلفهِ ثناءً طيباً ونحض المتأدبين من ابناء العصر على اقتنائهِ

فكاهات

رواية

العجب المفاجئ[1]

كان في لمبرديا امير عظيم الشان واسع الثروة يقال لهُ روبرتو لم يرزقهُ الله سوى ابنةٍ وحيدة سماها روزا فكانت تلك الابنة موضع عنايتهِ واهتمامهِ وقد وقف عليها جميع عواطفهِ واتخذها بغيتهُ من دنياهُ . ولما كان احد الايام اخذ الامير ابنتهُ وخرج بها يتمشى على ضفاف النهر فبينما هما هناك وقد جلسا على صخرةٍ تجاه النهر اذا جماعة غلمانٍ يلعبون على الرمال وكان بين هؤلآء الغلمان فتىً في الرابعة عشرة تلوح على وجههِ سمات الفطنة والذكاء ويظهر من ملامحهِ انهُ من ابناء الكرام غير انهُ كان بين اصحابهِ ساكتاً منكسراً ورأى الغلمان منهُ ذلك وقد عرفوا انهُ غريب فكانوا يعبثون بهِ ويتدافعونهُ بينهم وهو صابر على فظاظتهم . ثم سقطت قبعة احدهم في المآء فامروهُ ان ينزل ويأتي بها فأطاع والقوا لهُ غصناً من شجرةٍ ليجذبوهُ بهِ فلما بلغ الفتى طرف الغصن تركهُ الغلمان وكان الفتى لا يحسن السباحة فجعل يختبط في المآء وقد اوشك ان يغرق . فلما رأت ابنة الامير ذلك ادركتها الشفقة عليهِ فتوسلت الى ابيها ان يأمر الغلمان بتخليصهِ فصاح الامير بهم ان يسرعوا في انقاذ ذلك المسكين فلم يبالوا بهِ فشقّ ذلك على الامير

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وانتهرهم فتفرّقوا هاربين وهم يضحكون مما فعلوا . ورأى الامير ان الفتى قد خارت قواهُ وكانت ابنتهُ تتوسل اليهِ بالدموع لتخليصهِ فالقى بنفسهِ في المآء وانقذ الغلام سالماً الى البرّ ولما بلغاهُ وقف الفتى بمزيد الاحتشام وشكر الامير على انقاذهِ بأرقّ العبارات . فتأثر الامير لكلامهِ وقال لهُ من انت ايها الفتى وابن من . قال اما انا فاسمي روبرتو واما ابي فلا اعلم عنهُ شيئاً قال وكيف ذلك أوَليس لك هنا مكانٌ تأوي اليهِ ولا احدٌ من ذويك . قال مأواي شوارع المدينة وذويَّ ارباب الشفقة والاحسان ولم يكد يتمّ عبارتهُ هذه حتى خنقتهُ العبرات . فازداد الامير تأثراً من حالهِ وقال لهُ لا بأس تأتي الى بيتي وتقيم عندي فاجعل لك خدمةً بين اشغالي فلبى الفتى شاكراً وتبع الامير وابنتهُ حتى وافوا المنزل فكان في جملة اهلهِ

وبقي روبرتو سنتين في بيت الامير مثالاً للطاعة والادب والرصانة فملك قلوب كل من في القصر ولا سيما قلب روزا فانها كانت لا تسرّ الا برؤيتهِ ولا ترتاح الا الى محادثتهِ

وفي ذات يوم استدعى الامير ابنتهُ واعلمها ان احد ابنآء الاعيان طلبها زوجةً لهُ وقال لها انهُ يودّ ان يراها سعيدةً قبل ان يفارق هذه الدنيا وقد عين للخطيب يوماً يأتي فيهِ ليرى خطيبتهُ ويلبسها خاتم العهد . فاجفلت روزا لهذا الخبر الغريب وتعجبت من قطع والدها بمثل هذا الامر قبل مشورتها والوقوف على رضاهـا فقالت لهُ عجباً يا ابتِ وكيف علمت اني اوافق على هذا الامر وانا لا علم لي بشيءٍ منهُ ولا اعرف الرجل الذي جعلتهُ نصيباً لي . نعم لست انكر ان طاعتك واجبةٌ عليّ لكن لا فيما

يتعلق بحياتي واذا كنت كما تقول تحب ان تراني سعيدةً فقد كان الاجدر ان تترك هذا الاختيار لي لأتولى بنفسي انتقآء من ارى اني اكون سعيدةً معهُ . فلم يستغرب الامير هذا الجواب من ابنتهِ لما كان يعهد من نجابتها وذكآئها غير انهُ استآء من مقاومتها لهُ فقطب حاجبيهِ وقال لها أوَتنقضين ما وعدتُ بهِ يا روزا وتمّ قضآؤهُ من قِبَلي . قالت معاذ الله يا ابتِ ان يكون نقضي لهُ استخفافاً او عصياناً ولكني اعلم اني اذا قُرِنت بمن لا اختارهُ كان ذلك سبب تنغيص لي ولك وجرّ عليك ندامةً حين لا ينفع الندم . قال واذا تركت لكِ هذا الخيار فهل انتِ واثقةٌ بان يكون من تختارينهُ شخصاً يسرّني . قالت نعم بلا ريب . قال ومن هو هذا الشخص . قالت هو ربيبك روبرتو فقد ملتُ بكلي اليهِ وهو يحبني حبّاً لا مزيد عليهِ فاذا تزوجت يوماً ما فلن ارضى سواهُ بعلاً لي . قال تبّاً لرأيك ما اسخفهُ وابعدهُ عن مواقع افكاري فاني بينما افكر في تزويجكِ بالشرفآء والاغنيآء وذوي الجاه والحسب اراكِ قد تعلقتِ بصعلوكٍ حقير لو لم نَجُد عليهِ بفضلات طعامنا لكان الآن منسياً من عالم الوجود . قالت أوَتظنّ يا ابي ان شرف الانسان بمالهِ وحسبهِ ولو لم يكن في نفسهِ شريفاً أوَلا يفضَّل مثل روبرتو بما فيهِ من الادب والصدق وصفآء النفس وطيب السريرة على كثير من هؤلآء الاغنيآء المتصفين بما تعلمهُ من البذآءة والفجور والتمرغ في اوحال المعايب والنقائص وهل يغني عن امثال هؤلآء ان يكون في صندوق احدهم كذا من المال ينفقهُ على مذامّ الامور او ان يقول ابي فلان او جدّي فلان وهو ليس من ابيهِ او جدهِ ولا قُلامة ظفر . قال

حسبكِ يا روزا من مثل هذه الافكار فلن يكون روبرتو سوى خادمٍ لكِ ولا يكون زوجكِ الا من اخترتهُ انا فاذهبي واستعدّي لما امرت ان يكون. ثم دخل غرفتهُ وذهبت روزا الى الحديقة فجلست على مقعدٍ هناك واخذت تفكر فيما سمعتهُ من ابيها وبينا هي كذلك اذ جآء روبرتو فرآها كاسفة الوجه دامعة الطرف فوقف بازآئها وسألها عن شأنها فاخبرتهُ بما دار بينها وبين ابيها . فاخذ روبرتو ينصح لها ان تقلع عن محبتهِ لانهُ لا يملك شروى نقير ولا يدري ما يكون من مستقبلهِ وان تطاوع اباها في الرضى بمن اختارهُ لها وتسلو هذا الشقيّ الحظ الذي طرحهُ القدر في طريق سعادتها . فقالت اوانت ايضاً تقنط من رحمة الله الا تدري ان لك ربّاً لم يخلقك وهو عاجز عن ان يأخذ بيدك ويعولك . كلاّ اني لن اتخذ سواك ولست بمطيعةٍ لوالدي في هذا الامر ولو افضى الى اراقة دمي ولكن قل لي هل تحبني انت وهل توافقني على ما اريد فعلهُ . قالت هذا وقد شغفتهُ برقّة حديثها وجمال طلعتها فصاح نعم احبكِ يا ملَك سعادتي وانا اطوَع لكِ من بنانكِ فانظري ماذا تأمرين . قالت حسبي هذا فكن على اهبةٍ لما اشير بهِ اليك في حينهِ

وقضت روزا بعد ذلك عدة ايام كان همها فيها استمالة والديها الى موافقتها واقناعهما بانهُ لا يجوز لهما ان يُكرِهاها على الاقتران بمن لا تهواهُ فلم يغنِ ذلك عنها شيئاً ولكن والدها زجرها واهانها وانذرها بقرب اليوم الذي ضربهُ موعداً للخطيب . ولما يئست من لين والدها ذهبت في تلك الليلة الى غرفتها فجثت امام سريرها وابتهلت الى مدبر الكائنات ان

يأخذ بيدها ويرشد مسعاها ولما رقد كل من في القصر وخيّم السكون على ارجائهِ نهضت فكتبت بضعة اسطرٍ لوالديها تظهر لهما فيها ما ركبا من الخطآء والقسوة في اصرارهما على اكراهها وختمتها بوداعهما ثم تركت الكتاب على سريرها وحملت كل ما كان في غرفتها من الحلى والحجارة الكريمة والنقود وانسلّت الى غرفة الخدم لتوقظ روبرتو فلم تجدهُ في سريرهِ . فوقفت تفكر هنيهةً ثم خرجت الى الحديقة وقد اضطربت افكارها ولم تدرِ كيف تؤوّل معنى غيابهِ وبينا خطت بعض خطواتٍ شعرت بصوتٍ تحت نافذة غرفتها فاقتربت فاذا روبرتو جاثٍ على التراب وهو يبتهل الى الله ان يلهمهُ ماذا ينبغي ان يفعل . فلم تلبث ان جثت بجانبهِ ولما اتمّ صلاتهُ اسرّت اليهِ ما عزمت ان تفعلهُ ثم قادتهُ بيدهِ الى باب الحديقة السرّي فخرجا من هناك وانطلقا تحت ستر الظلام ولما فصلا عن المنزل استأجرا لهما عربةً فركباها وقصدا بلدةً اخرى على مسافة عدة ساعاتٍ فبلغاها عند طلوع الفجر ثم صرفا العربة وتوجها الى ديرٍ هناك فدخلاهُ وطلبت روزا مواجهة رئيسهِ فلما وافى قصّت عليهِ ما كان من حديثها وحديث والديها ولما وثق بصحة كلامها لم يبطئ ان اتمّ عقد روبرتو عليها ثم ادخلهما الى غرفةٍ فاقاما بياض نهارهما في الدير وعند المسآء البسهما ملابس الرهبان واركبهما على دابتين من دوابّ الدير وصرفهما مزوَّدين ببركتهِ ودعآئهِ . فخرجا يجدّان السير وقد عزما على مزايلة تلك الولاية باسرها والتقدم الى حدود فرنسا وكانا يسيران في الليل وينزلان في النهار الى ان مضى عليهما اربعة ايام . وفي مسآء اليوم الخامس عاودا المسير وكانت في طريقهما غابةٌ كثيفة فدخلا في تلك الغابة

وبعدما قطعا مسافةً منها لمع في عيني روبرتو شيءٌ في وسط الظلام عرف للحال انهُ حديد بندقية وتلا ذلك صوت صائحٍ من القادم. ولما لم يجبهُ اذا بطلق نارٍ قد دوى في الفضآء وتبعتهُ صيحةٌ عظيمة فسقط روبرتو وجوادهُ الى الارض ولما رأت روزا ذلك وثبت عن جوادها الى الارض كأنها اللبؤة الفاقدة اشبالها وصاحت ويلٌ لكم يا ثعالب الليل تعالوا خذوا ما نملك ودعُوا الارواح لمالكها . وكأنّ شدّة الرياح اعترضت صوتها فلم يسمعهُ سوى روبرتو وكان الرصاص قد اصاب جوادهُ فقتلهُ ولم يُصَب هو بسوء فوثب على قدميهِ وعطف الى روزا ليسكن روعها . ثم خطر لهُ ان اولئك القوم ربما كانوا مرسلين من قِبَل والدها لامساكهِ ولكي يغالطهم ويموّه عليهم معرفتهُ كلمهم بالفرنسوية بلهجتها الفصحى وقال من انتم ايها القوم وما شانكم اقتربوا منا ولا يرينَّكم من جهتنا خشيةٌ فاننا اعزلان من السلاح. وكأنّ ما فاه بهِ زاد في حنق اولئك الرجال وشراستهم فقذفوهُ بشتائم قبيحة وتقدّموا الى ناحيتهِ وكان مع احدهم مصباحٌ ضعيف فادناهُ منهما ثم صاح ويلٌ للرهبان فانهم جرثومة الشرّ . فقال زعيمهم نحن لا يهمنا الرهبان ولا العامّة ولكن يكفي انهما فرنسويّان فلا بد من قتلهما . فقال روبرتو اسمع يا هذا خذوا ما معنا واعفوا عن دمآئنا فاننا لم نجنِ في حياتنا ذنباً . فقال الزعيم اخرس يا رجل فكفاك ذنباً انك فرنسويٌّ ولا يجوز ان نُبقي على فرنسويّ . ثم امر اتباعهُ فاوثقوهما وقادوهما الى مغارتهم

ورأى روبرتو ان زعيم هذه العصابة لا يهمهُ المال ولا هو من قطّاع السبيل ولكنهُ رجلٌ ايطاليانيّ اقسم ان ينتقم من الفرنسيس لفادحةٍ

اصابتهُ منهم ايام استولى نابليون بونابرت على اواسط ايطاليا واستباح اهلها فكلمهم بالايطاليانية وقال ان كنتم ايها القوم ساخطين على الفرنسيس فدعونا وشأننا لاننا ايطاليانيان . فلما سمعوهُ يتكلم بالايطاليانية وقفوا مبهوتين ثم احاطوا بهما وقالوا من انتما واين تقصدان في هذا الليل . فقالت روزا اما اذا لم يكن بدٌّ من اطلاعكم على حقيقة امرنا فاسمعوا ما القيهِ اليكم ثم اخذت تقصّ عليهم حديثها حتى اتت على آخرهِ . فقال الزعيم ولمَ لم يقبل والدكِ ان يكون هذا الباسل بعلاً لكِ . قالت لانهُ رجلٌ فقيرٌ لا يُعرَف لهُ اهلٌ ولا والدان . فقال وكيف ذلك ايها الفتى . قال تشتت شمل أُسرتنا حين قدوم نابليون الى هذه الاقطار ولا ادري هل مات والدي ام لا يزال حيًّا يُرزَق وليس في يدي من المال ما يمكنني من البحث عنهُ . فزفر الزعيم زفرةً حارّة ثم قال جبر الله كسرك ايها الفتى وأظفرك بأُسرتك وانتقم لنا من ذلك الغاشم العتيّ جزآء ما جنى على الابريآء من الويلات والمظالم . قال فهل يأذن لي المولى ان استفهمهُ عن شأنهِ وما نابهُ من ذلك الوحش الضاري . قال انا احد امرآء الايطاليان من لمبرديا وقد كنت حاكمًا فيها وقضيت ايامي الاولى في العزّ والنعيم وقبل حلول الحوادث الاخيرة بسنة كنت قد تزوجت بفتاةٍ هي مثال الادب والكمال فلما وفد علينا ذلك الظالم بخيلهِ ورجلهِ اضطررت ان اهاجر فيمن هاجر وقد تقوض ركن عزي وسعادتي ونجوت مع زوجتي تحت جنح الظلام وفي اثنآء ذلك ادرك زوجتي المخاض فوضعت لي ابنًا في بيت راعٍ قبلنا عندهُ مدةً من الزمن ثم قضى الله على زوجتي على اثر ذلك الشقآء فقضت نحبها ولبثت اياماً ابكيها واسهر

على ضريحها . ولما لم تعد تمكنني الاقامة تركت ولدي عند ذلك الراعي وارتحلت الى سويسرا فاقمت بها الى ان اذن الله في كشف ظلّ ذلك العاتي واندحارهِ عن الوطن فعدت الى الراعي فلم اقف لهُ على اثر وها انا اليوم قد تجردت من زوجتي ووحيدي وبقيت ثاكلاً حزيناً لا اجد سلوةً ولا عزاءً ولذلك فقد آليت ان لا ارجع الى وطني واملاكي حتى اقتل كل فرنسويّ اصادفهُ ومعي هؤلاء الجماعة وما فيهم الا من اصابتهُ داهيةٌ من مثل ما اصابني وقد صممنا جميعاً على طلب الانتقام . ثم صاح قائلاً لتمحَ فرنسا عن وجه الارض وليمت الفرنسيس . فكرر اصحابهُ تلك العبارة ثلاثاً بصوت واحد فكان لها في تلك الغابة صدىً بعيد وعقبها سكوتٌ عميق

والتفت الزعيم الى روبرتو فرآهُ غائصاً في لجةٍ من الافكار وقد استولت عليهِ الحيرة والجمود فقال ما بالك ايها الفتى وهل تشكو من شيء . قال اشكو من شقآئي ومن غموض حياتي . ذكرت ايها الامير انك تركت ولدك عند الراعي فهل دعوتهُ باسم قبل ان تفارقهُ . قال نعم دعتهُ والدتهُ روبرتو على اسم اخيها الذي كان حاكماً في البندقية . فشهقت روزا ووقف روبرتو وقال وما اسم الراعي الذي تركت ولدك عندهُ . قال اسمهُ برزدو . قال وما اسمك انت . قال الامير تونلدو . فصاح روبرتو وقال انا اسمي روبرتو وقد ربيت عند رجل يسمى برزدو ربّاني عندهُ الى ان ضاقت احوالهُ فصرفني لالتمس قوتي واخبرني اني وُلدت عندهُ وان ابي يسمى تونلدو وأمي يقال لها تريزا . فقم يا والدي وقبّل ابنك فقد اعادهُ الله عليك ثم القى نفسهُ في حضن والدهِ فتعانقا وبكيا وبعد ان اشتفيا من غليل

اشواقهما قالت روزا قم يا روبرتو ودَع ابنة خالك تقبّل زوج عمتها فاذا كان ما سمعتهُ حقيقةً كانت والدتك اخت ابي روبرتو حاكم البندقية . فلما سمع تونلدو ذلك ابتهج ونهض اليها فعانقها وقبّلها وقضى الجميع ليلتهم في تلك الغابة على اتم الصفآء والسرور حتى اذا كان الصباح نهضوا جميعاً فعادوا الى لمبرديا

اما والدا روزا فلما اصبحا بعد ليلة انصرافها استبطأا خروج ابنتهما من غرفتها ولما طال انتظارهما لها دخلا الغرفة فاذا هي خالية وافتقدا الخادم روبرتو فلم يجداهُ فوقع هذا الحادث عندهما اشدّ وقعٍ وارسلا يبحثان عن الفتاة فلم يقفا لها على اثر واستولى الغمّ على ذلك المنزل وندم والدها على ما عاملها بهِ من التشديد والغلظة وكان يزيد عليهِ تأنيب والدتها لهُ على ذلك فيقضيان اوقاتهما بالمرارة والاسى

ولما عاد الامير تونلدو بجماعتهِ الى لمبرديا كان اول شيءٍ فعلهُ انهُ انطلق الى بيت ختَنهِ روبرتو وفي صحبتهِ ولدهُ روبرتو وروزا فقصّ على والديها ما كان من الحديث المتقدم ذكرهُ وعرّفهما ان روبرتو هو ابنهُ الضائع الذي قضى هذه السنين كلها في البحث عنهُ فانقلبت احزان ذلك البيت الى افراح وقام بعضهم الى بعض فتعانقوا وهم يحمدون الله على اجتماع شملهم وجدّدوا مسرّات العرس ولبثوا بعد ذلك يودّعون يوم فرحٍ ويستقبلون مثلهُ الى ان ادركهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات